

من دلالة الحرف في القرآن (حروف مختارة للدراسة)

أ. حنان علي بالنور

قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة المرقب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى من خلقه لتبليغ الرسالة وبيانها، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار الذين اتقوا ربهم، وساروا على هدى رسوله الكريم، فنالوا الفهم لمعاني الكتاب ودلالاته، ولمسوا لطائفه، وعرفوا أسرارها.

أمّا بعد؛ فإنّ الله ﷻ أنزل كتابه هدى للعالمين، وهدايته لا تتأتى إلا بالتدبر، والتأمل، وفهم مراد الله منه؛ لذلك ربط ﷻ التأمل والتدبر بالمؤمنين الصادقين، ووئح المعرضين عنه في كثير من آياته؛ لأنّه أصل الوقوف على معانيه. ومن وجوه التدبر إمعان النظر والتفكير في سياق آياته، والربط بينهما وصولاً للمراد من خلال دلالاته.

ومن تدبره وتأمله يتوصل إلى تفسيره، ولقد سلك أصحاب المعاني، المفسرون طرقاً لتفسيره، منها تفسير القرآن بالقرآن الذي يعتمد تفسير السياق، وفهم الدلالة بكل وجوهها؛ سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، وسياق القرآن كله.

وبناء على هذا يمكن القول إن السياق القرآني، وفهم دلالاته أصل من أصول التفسير

المعتبرة.

أهمية البحث وسبب اختياره:

نظراً إلى ما لتفسير القرآن من علاقة بقضية السياق، وفهم الدلالة - لتوقف مفهوم المفردة، من خلال هيأتها، ونظمها في الجملة مع الجمل الأخرى، وعلاقتها بما في فهم المراد منها عليها- فقد صار بحثها ضرورة يقتضيه الدرس النحوي بشواهد من القرآن الكريم.

وفضل السبق في هذا الموضوع راجع إلى ما اقتضته السنّة الشريفة من فهم الرسول ﷺ وتفسيره للنصوص المتعلقة بألفاظ القرآن ودلالاتها من السياق، وإلى جانبه ﷺ اشتهر نفر من الصحابة الأوائل ﷺ بشرح وبيان معاني الألفاظ القرآنية من السياق، مثل: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، والفضل موصول فيما بعد إلى علماء المسلمين منهم: الإمام مسلم بن

سيّار، والشافعي، والعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم الجوزية؛ ولبعض اللغويين (أصحاب المعاني) مثل: أبي عبيدة، والقراء، والزجاج، والأخفش؛ لجهودهم العظيمة في الاهتمام باللغة، والسياق، والدلالة، والمقام، ومقتضى الحال، ومقتضى المقام في تفسير القرآن، وإعرابه.

وللغة والسياق والقرينة أهمية كبرى في تفسير اللفظ القرآني وبيان معناه ودلالته، وفهم المعنى من العبارة، إذ هم مُعِينُونَ على تحديد دلالة الكلام عند مخالفة ظاهره المقصود به، ومؤمنانه من اللبس، وأتّهما وسيلتان من وسائل تصويب فهم المخطئ لنصوص العقيدة الصحيحة، والردّ على المنحرفين.

تأسست فكرة البحث وإشكالية الموضوع على أساس أهمية أثر الدلالة النحوية والقرينة والسياق من الحرف في الجملة القرآنية، وسقط هذا الأثر - أحياناً - من الاستعمال في اللغة. وإتباعاً لجهود سابقة في الوقوف على هذه القضية، عزمت على البحث في موضوع وسمته بعنوان: **من دلالة الحرف في القرآن (حروف مختارة للدراسة)**؛ لعلني أقف من خلاله على بعض من جوانب أثر الدلالة النحوية والسياق في توجيه المعنى للحروف المختارة للبحث، واسترشد إلى مجمل دلالتها، وتعيين محتملها، ومعرفة بعض قيودها التركيبية وأشراط إفادتها؛ لأنّ المعنى هو الغاية من أي تركيب في الجملة المعبر بها.

المنهج المتبع:

وكان منهجي في البحث استقصائياً تتبعياً يهتم بالحرف ودلالته من خلال السياق في النصوص المختارة للبحث من الآيات الكريمة، والمقارنة بينها في مدار القرينة والسياق، ورصد أثر المقارنة عند أشهر علماء اللغة؛ وصولاً للمعنى المراد والموجه إليه.

وفي هامش صفحات البحث راعيت اختصار بيانات توثيق المصادر والمراجع التي اطلعت عليها تاركَةً تفاصيلها في فهرس المصادر والمراجع.

وَلَمَّا كان عنوان البحث: **من دلالة الحرف في القرآن (حروف مختارة للدراسة)**، فقد عرضتُه في مقدمة، وموضوع، وخاتمة.

الدراسات السابقة:

ولقد استفدت من مصادر ومراجع متنوعة أثناء البحث جمعت بين القديم والحديثة، أذكر

منها - على سبيل المثال لا الحصر - مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، ومعاني القرآن لأبي الحسن الأخفش، والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، ومعاني القرآن للقرّاء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ودراسات في اللغة والنحو لإبراهيم السامرائي، وعلم الدلالة لأحمد مختار عمر، والمعاني المشتركة بين حروف الجر، لفاضل السامرائي.

أمّا المقدمة فسطرت فيها أهمية الدلالة في الحرف، وأثر السياق والقرينة في تحديد هذه الدلالة، والفكرة التي تأسس عليها البحث، والمنهج المرسوم في دراسته، والإشارة إلى بعض المصادر المستفاد منها.

أما الموضوع فتناولت فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي للدلالة بعامّة، والنحوية بخاصة وأثرها في حروف الجملة القرآنية المختارة للدراسة وهي (إلّا، إنّ وأنّ، إذ، ما، من، هل)، وقسمته إلى ستة مطالب وهي: دلالة إلّا، دلالة إنّ وأنّ، ودلالة إذ، ودلالة ما، ودلالة من، ودلالة هل. أما الخاتمة فتضمنت أهم نتائج البحث.

الموضوع:

ترتكز الدلالة النحوية على الجانب الوظيفي نتاج العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الجملة، وقد يسهم علم النحو والسياق في الأسلوب في تطور الدلالة الناشئة من كثرة استعمال لفظ ما، في موضع معين؛ فمثلاً كلمة (الفسل) لغة تدل على الضعف⁽¹⁾، ولكن كثرة استشهاد الناس بما وورودها في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الأنفال: 46. وذلك في موطن التنازع المؤدي إلى الإخفاق عادة جعلهم يظنون أنّ معنى الفسل هو الإخفاق⁽²⁾.

ولما كانت اللغة هي تراكيب مؤلفة ضم بعضها إلى بعض⁽³⁾ فإن الكلمة المفردة عاجزة عن كشف الأفكار والمعاني المحبوسة في الصدور والتي تحتاج إلى عدد كثير من الكلمات يرتبط بعضها مع بعضها الآخر؛ لأداء فكرة معينة، ومن ثمّ تظهر أهمية السياق النحوي الذي تعيّن فيه لكل كلمة الوظيفة الخاصة بها في الجملة، وتحدد الارتباطات الوظيفية بين عناصر هذه الجملة.

(1) لسان العرب، ابن منظور (فسل).

(2) ينظر: فقه اللغة، محمد المبارك: 213.

(3) ينظر: دراسات في اللغة والنحو، إبراهيم السامرائي: 126.

الدلالة لغة: من دَلَّ يُدَلُّ، والدليل ما يُسْتَدَلُّ به، وهو الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريقِ يَدُلُّهُ دِلَالَةً، ودِلَالَةً ودُلُولَةً، والدَّلِيلِي علمه بالدلالة ورسوخه فيها⁽¹⁾.

الدلالة اصطلاحًا: ((هي العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى))⁽²⁾.

أما **الدلالة النحوية** فهي المعنى الذي يفرضه نظام الجملة بسبب ترتيب الألفاظ داخل التركيب وعلاقتها فيما بينها، بحيث يكون الارتباط بين الكلمات بحسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي؛ لتؤدي كل كلمة وظيفة معينة⁽³⁾.

ومن هذه الدلالة دلالة الحروف التي تحدد فيها المعاني وفق وجهين: الأول: المعنى الذي تجلبه معها هذه الحروف، كالاستفهام، والنفي، والجر... .

الثاني: المعنى الذي يحدده السياق لهذه الحروف من خلال الجمل التي تعتمد السياق في توضيح المعنى. وللبحث في هذه الموضوع سأحدد بعضًا من هذه الحروف وهي: **إِلَّا، إِنْ وَأَنْ، إِذْ، مَا، مِنْ، هَلْ.**

المطلب الأول: دلالة (إِلَّا):

أولاً: دلالة (إِلَّا) على (الواو).

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ البقرة: 150. ذهب أبو عبيدة⁽⁴⁾ والأخفش⁽⁵⁾، إلى أنَّ (إِلَّا) بمنزلة الواو...⁽⁶⁾.

(1) الصحاح، الجوهري: (دلل)، واللسان (دلل).

(2) علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 11.

(3) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 48.

(4) مَعْمَر بن المثنى التيمي (110-209هـ) البصري، النحوي من أئمة العلم بالأدب واللغة، له مؤلفات منها مجاز القرآن. الأعلام، للزركلي 7: 272.

(5) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي، أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي، عالم باللغة والأدب من أهل بلخ، سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه، صنف كتبًا منها: شرح أبيات المعاني، تفسير معاني القرآن. الأعلام، 3: 102.

(6) ينظر: مجاز القرآن، 1: 60. ومعاني القرآن، الأخفش، 1: 343.

أَمَّا الْفِرَاءُ⁽¹⁾، فقد تساءل: ((كيف استثنى الذين ظلموا في هذا الموضع؟ ولعلمهم توهموا أن ما بعد إلاً يخالف ما قبلها...))⁽²⁾. وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾⁽³⁾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ النمل: 10-11.

وفي الآية بين الفراء اللبس الدلالي بوجهين: ((أحدهما أن تقول إنَّ الرسل معصومة مغفور لها أمانة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهو يخاف ويرجو فهذا وجه، والآخر أن تجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة؛ لأنَّ المعنى لا يخاف المرسلون إنما الخوف على غيرهم ثم استثنى فقال: إلا من ظلم فإنَّ هذا لا يخاف، يقول: كان مشركاً فتاب وعمل حسناً فذلك مغفور له ليس بخائف))⁽³⁾.

وبهذا فقد وجَّه الفراء تفسير الآية ليرفع اللبس، إذ جعل الوجه الأول اعتقادياً، وأمَّا الثاني فقد وجهه توجيهاً نحوياً.

وفي موضع آخر علل الفراء ذلك بقوله: ((ولم أجد العربية تحتل ما قالوا، لأنني لا أجزى قام الناس إلا عبد الله وهو قائم؛ إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء قبل إلا))⁽⁴⁾.

ثانياً: دلالة (إلا) على (لكن).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ البقرة: 150. ذهب الزجاج⁽⁵⁾ والأخفش إلى أنَّ (إلا) بمعنى لكن⁽⁶⁾، ولكن الزجاج خالف الأخفش قائلاً: ((قال بعضهم لكن الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم، والقول عندي إنَّ المعنى في هذا واضح:

(1) هو يحيى بن زياد، أبو زكرياء، أربع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، له من المصنفات الحدود، المعاني والجمع والتثنية في القرآن (ت: 207هـ). وفيات الأعيان، ابن خلكان، 6: 176.

(2) معاني القرآن 1: 89.

(3) المصدر نفسه، 2: 287.

(4) المصدر نفسه، 2: 287.

(5) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج النحوي، له من التصانيف معاني القرآن، كتاب الاشتقاق (ت: 311هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، 2: 259.

(6) معاني القرآن، الزجاج 1: 226-227.

المعنى لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلا من ظلم باحتجائه فيما قد وضع له... (1)).
ثالثاً: دلالة (إلا) على (سوى).

قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ الدخان: 56. دلت الفراء بالقياس على دلالة (إلا) على سوى بالآية ﴿وَلَا نُنَكِّهُوْا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ النساء: 22. ف (إلا) في هذه الآية بمنزلة سوى، كأنه قال: لا تنكحوا؛ لا تفعلوا سوى ما قد فعل آباؤكم... ومثله آية ﴿خَلْدَيْتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ هود: 107. أي سوى ما شاء ربك لهم من الزيادة على مقدار الدنيا من الخلود (2). ووافق الزجاج الفراء في تفسير الآيتين: ((المعنى لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا)) (3).

المطلب الثاني: دلالة (إن، وأن).

لابن قتيبة (4) رأيان في (إن) الخفيفة:

الأول: أن تكون بمعنى (لقد)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ الإسراء: 108. وكفوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الشعراء: 97.
الثاني: أنها تكون بمعنى (إذ)، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: 139. أي: إذ كنتم، وذكروا أنها عن أهل اللغة لا يجعلونها بمعنى (إذ)، ويذهبون إلى أنها في هذا الموضع بمعنى (من) أي: من كان مؤمناً لمن يهن (5).
وتناول الأخفش دلالة (إن) الخفيفة بمعنى (ما) في سياق الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ الملك: 20. فقال: أي ما الكافرون.

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: معاني القرآن، الفراء 3: 44.

(3) معاني القرآن، الزجاج 4: 428.

(4) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب، توفي في بغداد، من كتبه تأويل مختلف الحديث،

مشكل القرآن. الأعلام 4: 137.

(5) تأويل مشكل القرآن 553.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَنَّكُمْ فِيهِ﴾ الأحقاف: 26. فإن في الآية بمنزلة (ما) (1).

كما ذكر أنه تكون للمجازاة كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التغابن: 14.

وتكون زائدة مع (ما) ((وتزاد إن مع ما يقولون: ما إن كان كذا وكذا، أي: ما كان كذا وكذا)) (2)، وتكون خفيفة في معنى الثقيلة وهي مكسورة، وتكون اللام في هذه الحال في خبرها لكي لا تلتبس بالتي معناها (ما)، وهي كالتي وردت في سياق قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ الطارق: 4.

كما تناول دلالة (أن) الخفيفة المفتوحة الهمزة بحسب السياق الذي وردت فيه، فتكون زائدة مع (فلماً)، (لما)، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ يوسف: 96. قال: ((وإنما هي فلماً جاء البشير)) (3). قال الراجعي عن زيادة (أن مع فلماً): ((إن في هذه الزيادة لوئاً من التصوير لو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، والمراد من التصوير رصد الفصل بين قيام البشير ومجيئه، للبعد الذي كان بين يوسف ويعقوب عليهما السلام، وفي ذلك يرسم كأنه كان منتظراً بقلق واضطراب تؤكدهما، وتصف الطرب لمقدمه واستقراره غنة هذه النون في الكلمة الفاصلة وهي أن، في قوله أن جاء)) (4).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ العنكبوت: 33. أي: ولما جاءت. وتزاد مع لو نحو: أن لو جئتني كان خيرًا. والمعنى لو جئتني (5).

وتكون بمعنى (أي)، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ﴾ ص: 6. والمعنى: أي امشوا.

(1) معاني القرآن، الأخفش 1: 289.

(2) المصدر نفسه، 1: 290.

(3) معاني القرآن، الأخفش 1: 297.

(4) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية 163-164.

(5) معاني القرآن، الأخفش 1: 297.

وتكون خفيفة في معنى الثقيلة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خِرُّ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس: 10. على قولك أنه الحمد لله. وذكر ((أثما تعمل في الفعل وتكون هي والفعل اسما للمصدر، نحو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ القيامة: 4. إنما هي على تسوية بنانه))⁽¹⁾.

المطلب الثالث: دلالة (إذ).

ذكر النحاة استعمالات (إذ) وبينوا أنها على أربعة أوجه⁽²⁾ :

الأول: أن تكون اسماً للزمن الماضي، ولها أربعة استعمالات: أن تكون ظرفاً وهو الغالب نحو قوله تعالى: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التوبة: 40. أن تكون مفعولاً به مثل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ﴾ الأعراف: 86. والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير: اذك. نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: 30. أن تكون بدلاً من المفعول به مثل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مكاناً شَرْقِيًّا﴾ مريم: 16. ف (إذ) بدل اشتغال من مريم، أن يكون مضافاً إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو: (يومئذ، وحينئذ)، وغير صالح له نحو: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ آل عمران: 8.

الثاني: أن تكون اسماً للزمن المستقبل كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ نُخَبِّرُ أَخْبَارَهَا﴾ الزلزلة: 4.

الثالث: أن تكون للتعليل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرًا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ الزخرف: 39.

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري 1: 102-103.

الرابع: أن تكون فجائية وهي الواقعة بعد (بيننا أو بينما)، كقول الشاعر⁽¹⁾ :
 اسْتَقْدِرَ اللهُ خَيْرًا وَأَرْضِيَنَ بِهِ فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مِيَاسِيرُ
 وفي (إذ) أقوال للنحاة⁽²⁾.

المطلب الرابع: دلالة (ما).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة: 26.
 تابنت آراء أصحاب المعاني في دلالة (ما) في الآية، ذهب أبو عبيدة إلى أنها زائدة، فقال:
 ((معناها... أن يضرب مثلاً بعوضة، (ما) توكيد للكلام من حروف الزوائد))⁽³⁾، وإلى مثله ذهب
 الأخفش فقد استعان بالسياق للتدليل على زيادتها فقال: ((مثلاً ما بعوضة... لأنَّ (ما) زائدة في
 الكلام، إنما هو إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلاً))⁽⁴⁾.
 ويظهر للباحثة أنَّ الأخفش لم يستعن عن زيادة (ما) إلاَّ بإسقاطها من السياق، وهذا يعني
 أنَّ السياق يستغني عنها، ويؤدي المعنى المراد دون خلل، وبذلك يكون الأخفش قد نَهَجَ نَهَجَ أَبِي
 عبيدة للكشف عن دلالة هذا الحرف.
 أمَّا الفرء فلم يصرح بزيادتها إلاَّ أنه أشار قائلاً: ((أن توقع الضرب على البعوضة، وتجعل
 (ما) صلة كقوله الآية: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِحْنَنَّ نَادِمِينَ﴾ المؤمنون: 40. يريد عن قليل، والمعنى: والله
 أعلم إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلاً))⁽⁵⁾، وقوله صلة في هذه الآية تأدباً
 مع الله ﷻ؛ لأنَّ الزيادة لا يراها ملائمة في سياق الآيات القرآنية.

(1) هو جَبَلَةُ العُدْرِي، عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ العَسَابِي من قصيدة:

استقدر الله خيراً وأرضين	فبينما العُسْرُ إِذْ دَارَتْ مِيَاسِيرُ
تأتي أمورٌ فما تدرِي أعاجلها	خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مُعْتَبِطاً	إِذْ صَارَ فِي الرَّئِيسِ تَعْفُوهُ الأَعَاصِيرُ
يكيي الغريبُ عليه ليس يعرفُهُ	وذو قرابتهِ في الحيِّ مَسْرُورُ

ينظر: الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري: 1: 136.

(2) ينظر: مغني اللبيب، لابن هشام: 1: 105.

(3) مجاز القرآن: 1: 35.

(4) معاني القرآن: 1: 215.

(5) معاني القرآن: 1: 20.

أَمْ الرَّجَاجُ فَقَدْ رَجَّحَ زِيادتها بقوله: ((فأما أجود هذه الجهات فإن تكون (ما) زائدة مؤكدة، كأنه قال: إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلاً، ومثلاً بعوضة و(ما) زائدة مؤكدة...))⁽¹⁾.

ذهب الفراء والرجاج إلى ((أن تجعل (ما) اسماً، وذلك جائز في (من) و(ما) لأهما يكونان معرفة في حالٍ، ونكرة في حالٍ))⁽²⁾، وذهب الرجاج أن تكون نكرة بمعنى شيء، والمعنى: أن الله لا يستحيي أن يضرب شيئاً مثلاً، وكأنَّ بعوضة في موضع وصف شيء⁽³⁾.

وتأتي بمعنى الذي ولهذا المعنى أشار الأخفش وكان ناقلاً له عندما قال: ((يجعلون (ما) بمنزلة الذي، ويضمرون هو، كأنهم قالوا: لا يستحيي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضة))⁽⁴⁾، وإلى هذا الرأي أشار الرجاج فقال: ((فالرفع على إضمار هو كأنه قال مثلاً الذي هو بعوضة، وهذا عند سيبويه ضعيف))⁽⁵⁾، وإلى مثل هذا ذهب ابن هشام، وهو يختار أن تكون (ما) استفهامية مبتدأ وبعوضة خبرها، والمعنى: أي شيء البعوضة فما فوقها في الحفارة، وذكر ابن هشام أنَّ أكثر النحاة على أنَّها موصولة، أي الذي هو بعوضة⁽⁶⁾.

أن تأتي على إضمار (بين) بعدها، وهذا الوجه فضَّله الفراء عندما قال: ((تجعل المعنى على إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها))⁽⁷⁾.

ومن عرض الآراء يتضح أنَّ رأي الفراء بإضمار بين بعدها أكثر توافقاً مع السياق، فمثلاً دلالة السياق على تصغير، أو تحقير المثل، وعندما تكون (ما) بمعنى الذي ستكون الدلالة العامة أكثر توفيراً؛ لأنَّها تستعمل للعاقل وغير العاقل، كذلك الحال في جعلها نكرة؛ لأنَّ المعنى سيكون عاماً.

(1) معاني القرآن 1: 103.

(2) معاني القرآن، الفراء 1: 21. ومعاني القرآن، الرجاج 1: 104.

(3) معاني القرآن 1: 104.

(4) معاني القرآن 1: 215.

(5) معاني القرآن 1: 104. وينظر: الكتاب، سيبويه 1: 138-144.

(6) ينظر: مغني اللبيب 1: 314.

(7) معاني القرآن 1: 22.

المطلب الخامس: دلالة (من):

تدل (من) على ابتداء الغاية وهو الغالب عليها⁽¹⁾، فقد تكون في ابتداء غاية الأمكنة نحو قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ الإسراء: 1. أو تكون ابتداء غاية الأزمنة، فقد ذهب الأخفش إلى أنها بمعنى منذ في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ التوبة: 108. قال: ((يريد منذ أول يوم، لأن من العرب من يقول لم أره من يوم كذا، يريد منذ أول يوم))⁽²⁾. وعلل الزجاج دخول (من) في الزمان؛ لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبويض⁽³⁾.

ومن دلالتها على التبويض قول الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ البقرة: 253. فعلاقتها إمكان سد بعض مسدها⁽⁴⁾، وقد تكون للتعليل نحو قوله تعالى: ﴿مِمَّا حَطَّيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَادَّخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ نوح: 25. ووجه أبو عبيدة (من) في الآية أنها من خطيأتهم⁽⁵⁾ أي: بحذف ما، وجعلها الفراء على مذهب الجزاء وأن ما صلة فيما ينوى به الجزاء⁽⁶⁾.

والمعنى: أي من أجل خطاياهم أغرقوا، وإن ما زائدة⁽⁷⁾. وذكر ابن هشام معاني أخرى لـ (من)⁽⁸⁾، نحو: بيان الجنس في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾ البقرة: 106. أو معنى البدل مثل قوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ التوبة: 38.

(1) ينظر: معني اللبيب 1: 218.

(2) معاني القرآن 2: 561.

(3) ينظر: معاني القرآن 2: 478.

(4) ينظر: معني اللبيب 1: 319.

(5) مجاز القرآن 2: 271.

(6) معاني القرآن 3: 189.

(7) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري 2: 1242.

(8) معني اللبيب 1: 219.

أما ابن قتيبة فقد جعل (من) مكان على⁽¹⁾ واستشهد بقوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴾ الأنبياء: 77. ويكون المعنى ونصرناه على القوم الذين كذبوا.

ومعنى (النصر على) من المعاني التي استعملها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: 286. وقوله تعالى: ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: 14. فالمعنى هنا للتمكين منهم، والغلبة عليهم⁽²⁾، وهذا المعنى يخالف معنى (ينصره من)، لما فيه من التمكن والاستعلاء عليه.

وفي المقابل أن معنى (نصرناه منهم) يعني: نجيناه منهم، أو منعناه منهم، قال تعالى: ﴿ وَيَقْوِمُونَ مَنِ انصُرْنِي مِنَ اللَّهِ إِنَّ طَرَفَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود: 30. فينتفي أن يكون المعنى في الآية من ينصرني على الله، بل ينجيني وبمعني منه؟

وينطبق أيضاً على قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ غافر: 29.

لهذا كله فإن (من) لا تكون بمعنى (على) في الآية التي ذكرها ابن قتيبة.

وإن جاءت من بعد الفعل نصر فيكون معناه (نجيناه)، واستعمل القرآن الفعل (نصرناه) بمعنى نجيناه أخذنا له حقه منهم، في حين لو استعمل لفظ (نجيناه) لكانت دلالة على النجاة فقط، ويجوز أن يقال: نجيته من الغرق، ولا يجوز أن يقال: نصرته من الغرق؛ لأن الغرق ليس شيئاً ينتصف منه⁽³⁾.

المطلب السادس: دلالة (هل):

قال ابن هشام: ((حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي، دون التصور، ودون التصديق السلبي))⁽⁴⁾، وقد يدخلها مع الاستفهام معنى التقرير والتوبيخ، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ الأنعام: 148. وقوله: ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ الروم: 28.

(1) تأويل مشكل القرآن 577.

(2) ينظر: الكشاف، الزمخشري 2: 252.

(3) المعاني المشتركة بين حروف الجر، فاضل السامرائي 260.

(4) مغني اللبيب 2: 349.

أما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ الإنسان: 1. فقد ذهب أبو عبيدة إلى أن مجازها ((قد أتى على الإنسان، ليس باستفهام)) (1)، وذهب الفراء إلى أن هل قد تكون جحدًا، وتكون خبرًا (2).

ويرى أنها بمعنى (قد) معللاً ذلك بقوله: ((فهذا من الخبر؛ لأنك قد تقول: فهل وعظنتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرر بأنك قد أعطيته ووعظته)) (3). ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ الغاشية: 1. وقوله: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ طه: 9. وقوله: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ بَرِّهِمِ الْمُكْرَمِينَ ﴾ الذاريات: 24. فقد نقل ابن قتيبة أنها في هذه الآيات بمعنى (قد) (4).

أما الزجاج فقد جمع بين التحقيق والتقرير بقوله: ((ومعنى هل أتى، قد أتى على الإنسان، أي: ألم يأت على الإنسان حين من الدهر)) (5)، وجعلها الزخشيري بمعنى: ((أ قد أتى على التقرير والتقريب جميعًا)) (6)، غير أن ابن هشام يرى أن (هل) لا تأتي بمعنى (قد) أصلاً، وأن الاستفهام في الآية للتقرير (7).

أما معنى النفي فقد ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ ﴾ البقرة: 210. والمعنى: ما ينظرون إلا أن يأتيهم العذاب. وإلى هذا أشار الزجاج دون أن يصرح به قائلاً: ((قال أهل اللغة معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب)) (8). ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ الأعراف: 53.

وقد تكون (هل) بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ المائدة: 91. لفظة استفهام، ومعناه الأمر، لكن الاستفهام أبلغ من الأمر (9).

(1) مجاز القرآن: 279.

(2) ينظر: معاني القرآن: 3: 213.

(3) المصدر نفسه: 3: 213.

(4) ينظر: تأويل مشكل القرآن: 538.

(5) معاني القرآن: 5: 257.

(6) الكشف: 4: 665.

(7) ينظر: مغني اللبيب: 2: 352.

(8) معاني القرآن: 1: 280.

(9) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1: 459.

ويظهر من توجيه أصحاب المعاني لدلالات الحروف أنّها مبنية على التأويل والتحليل بحسب ما يقتضيه السياق.

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج .

- 1- أظهر البحث أنّ السياق النحوي له دور في إبراز دلالة الكلمة في الجملة، وأنّ الكلمة المفردة غير قادرة عن كشف الأفكار والمعاني المحبوسة في الصدور.
- 2- أفصح البحث أنّ لدلالة الحروف وجهين: من حيث المعنى الذي تجلبه هذه الحروف، والمعنى الذي يحدده السياق في الجملة.
- 3- أظهر البحث في الحروف المختارة للدراسة أنّ (إلّا) ذات ثلاث دلالات، و(إنّ وأنّ) سبع دلالات، و(إذ) أربع دلالات، و(ما) خمس دلالات، و(من) أربع دلالات، و(هل) خمس دلالات، وأنّ أصحاب المعاني - موضوع الدراسة - اتفقوا واختلفوا في دلالة هذه الحروف.
- 4- أظهر البحث أنّ للعلماء آراءً متباينة في تفسير الحروف ممّا يدل على اتساع معاني اللغة العربية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
أولاً: الكتب.
- 1- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط/2000م.
 - 2- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ط/1980م.
 - 3- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، أحمد صقر، دار التراث القاهرة، ط/1973م.
 - 4- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، (ت: 616هـ) دار الكتب العلمية ط/1/ بيروت 1399هـ = 1979م.
 - 5- الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري، مصدر الكتاب موقع الوراق.
 - 6- دراسات في اللغة والنحو، إبراهيم السامرائي مطبعة العاني، بغداد 1961م.
 - 7- دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط/1980م.
 - 8- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
 - 9- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت: 399هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط/4/ دار العلم للملايين، بيروت 1407هـ = 1987م.
 - 10- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، دار العروبة الكويت، ط/1/1402 = 1982م.
 - 11- فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، تأليف محمد المبارك، دار الفكر.
 - 12- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (ت: 180هـ)، تح: محمد عبد السلام هارون المطبعة الأميرية ببولاق 1316هـ، الهيئة المصرية للكتاب.
 - 13- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزخشي (ت: 528هـ) مصطفى حسين دار الكتاب العربي.

- 14- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي (ت: 711هـ)، دار صادر بيروت.
- 15- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: 210هـ) تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة 1381 = 1960م.
- 16- معاني القرآن للفراء، يحيى بن زياد (ت: 207هـ) تح: محمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلي وأحمد يوسف نجاتي، وعلي النجدي ناصف، دار السرور بيروت.
- 17- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج (ت: 311هـ)، تح: عبد الجليل عبدة شلي، عالم الكتب بيروت ط/1/1408 = 1988م.
- 18- معاني القرآن، أبو الحسن الأحفش (ت: 215هـ)، تح: فائز فارس، ط/3/ دار الأمل الكويت 1401 = 1981م.
- 19- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت: 761هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث بيروت.
- 20- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تح: إحسان عباس، الناشر دار صادر بيروت.
- ثانيًا: المجالات.
- 1- المعاني المشتركة بين حروف الجر، فاضل السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي، 4/ 1988م.